

تفسير سورة القلم

الجزء الأول

للشيخ هاني حلمي حفظه الله

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى، وصلَّى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى، وآله المستكملين الشرف،
ثمَّ أما بعد ...
فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا ينفعنا.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك عليه،

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على حلمك بعد علمك،

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على عفوك بعد قدرتك.

سنتناول إن شاء الله تبارك وتعالى في هذا اللقاء سورة القلم بالتدبر والتأمل، وهي السورة الثانية من حيث النزول، فهي سورة مكية، وإشتملت على بعض الآيات المدنية، وهي من السور التي تصلح للإستدلال على الجمع بين الآيات المكية والمدنية في سورةٍ واحدة.

فهذه السورة إشتملت على الآيات المكية والمدنية معًا، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن موضوع هذه السورة كان من الأهمية بما كان، ولذا تكررت الآيات في مكة والمدينه لإثبات هذا المعنى الذي جاءت السورة للدلالة عليه، لو أردنا أن نقف على موضوع سورة القلم فسنجد هذا الموضوع مرتبط بمقدمة هذه السورة كما قلنا من قبل هذا في سلسلة تدبر، حينما تكلمنا عن كيفية معرفة موضوع أي سورة من السور وقلنا عادة تكون في الآيات الأولى من السورة بيان لموضوع السورة.

- القسم الأول : الآيات المكية
  - موضوعهـــا

هذه السورة يمكن أن نجمل موضوعها في قول الله تبارك وتعالى : {مَا أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ }[القلم-2] كلمة {بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ}، هذه الكلمة التي ستأتي في آخر هذه السورة، حينما يتكلم الله تبارك وتعالى عن ذي النون، عن يونس عليه السلام، ويقول تبارك وتعالى:{لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ}[القلم- 49]، فترون هذه الكلمة قد أتت في أول السورة، وأتت في آخر السورة وذلك لإرتباطها بموضوع السورة.

<u>ما هو موضوع سورة القلم؟</u>

تعالوا نتأمل الآيات، ثم نستخرج هذا الموضوع في ضوء مدارسة هذه الآيات البينات، سورة القلم تشتمل على إثنتين وخمسين آية، إبتُدئت بقول الله تبارك وتعالى {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَآ أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (6)} [القلم].

{ن}: اسم حرف من حروف الهجاء، ليس له معنى في ذاته كغيره من حروف الهجاء، ولكن أختلف فيه وفي أمثاله من الأحرف المقطعة في فواتح السور، ومن أحسن ما قيل فيها أنها إشارة إلى إعجاز القرآن، فإنه مؤلفٌ من هذه الحروف التي يعرفها العرب، ومع ذلك لا يقدرون على أن يأتوا بسورة من مثله، وكانوا أئِمَّة البيان وأمراء البلاغة.

{ن وَالْقَلَمِ} : الواو؛ واو القسم، والقلم وهو الآلة اسم جنس يشمل كل قلم يُكتب به في السماء و الأرض، ولا شك أن أفضل الأقلام الذي كُتبت به المقادير، والقلم الذي يُكتب به الوحي، فيحتمل أن يكون المراد بالقلم أن يكون الكتابة نفسها، فيكون من التعبير بالآلة عن الفعل، يعني بالقلم عن الكتابة، ومنه ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في علامات الساعة، وذَكَر منها ﷺ ظهور القلم؛ أي الكتابة، وهذا رواه الإمام أحمد وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة.

إذًا المعنى{ن وَالْقَلَمِ} إما المقصود القلم , وهو أول ما خلق الله تبارك وتعالى , فقال له أكتب أي مقادير السماوات والأرض، كما هو معلوم في مراتب القضاء والقدر، أن أول ذلك علم الله تبارك وتعالى، ثم الكتابة كتابة هذه الأمور المتعلقة بمقادير الخلق، أو أن القلم المقصود به الكتابة ما يترتب عن هذا القلم.

{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} الواو هنا واو عطف أو قسم، أي والذي يُسَطِّرون الذي يكتبونه، فإذن {يَسْطُرُونَ} يعود إلى مفهوم من القلم وهم الكَتَبَة، فصار المُقسم به ثلاثة أشياء: يُقسم بالقلم ،وبالكتابة، وبالمكتوب، {وَمَا يَسْطُرُونَ}، إذن هذا قسم عظيم بلا ريب وبلا شك، أما المُقسم عليه فقول الله تبارك وتعالى : {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ}، وهنا الخطاب خاص بالنبي ﷺ ، فبنعمة ربه أي بسبب إنعام الله على نبينا ﷺ ،بالنبوة، وبالرسالة، والوحي، وهذه أعظم نعمة فليس كما يقول هؤلاء الكفرة الفجرة من أن النبي ﷺ مجنون، حشاه ﷺ، وقد ذكر ربنا تبارك وتعالى هذا في هذه السورة {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ}[القلم -51]، وقال عز وجل {وَقَالُوا يَآأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيهِ الذِّكرُ إِنَّكَ لَمَجنُونٌ} [الحجر -6]، فجاء القرءان بهذه الحيلة الخبيثه التي كاد بها هؤلاء الكفرة للنبي ﷺ بإتهامه بالجنون.

وقوله تبارك وتعالى:{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ}؛ أي إنتفى عنك الجنون بسبب نعمة ربك، وليس لأي شيء آخر إلا فضلا من الله تبارك وتعالى ومنَّه، {وَإِنَّ لَكَ} الواو هنا واو العطف، {وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا} أي لك ثوابا عظيما عند الله تبارك وتعالى على ما بلغت من رسالة الله وعلى ما صبرت على أذى قومك البالغ،

{وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ} أي غير مقطوع بل هو دائم مستمر، فلم يقتصر ربنا تبارك وتعالى على نفي الجنون عنه، بل منحه أفضل جزاء، وبشره بأحسن بشارة، ثم أثنى عليه بأكمل وأكرم الصفات، فقال سبحانه وتعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}، وهذا نهاية

الكمال البشري، وما بلغ النبي ﷺ هذا المبلغ من الخُلُق إلا بفضل الله تبارك وتعالى، وبسبب تخلقه بالقرآن.

قالت أمنا عائشة فيما روى مسلم، حينما سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت:" كان خلقه القرآن"، وأخبر ﷺ أنه جاء داعيا للأخلاق الكريمة، وأن رسالته قامت على ذلك، وقال ﷺ فيما روي عن الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم في المستدرج وصححه الألباني في السلسلة الصيحة "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق".

فإذا كان المُقسم به ثلاثة أشياء، فإن المُقسم عليه أيضا ثلاثة أشياء، يعني إذا كان القسم كان بالقلم، وكان بالكتابه، وكان بالمكتوب، فإن المُقسَم عليه نفي الجنون عنه، وثبوت الأجر له، وكونه كامل الخلق ﷺ، لكن لماذا إبتدأ ربنا تبارك وتعالى بقوله:{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} قالوا هذا من باب التخلية قبل التحلية، فنفى عنه الجنون -بأبي هو وأمي و نفسي رسول الله ﷺ- ثم بعد ذلك وصفه بأن أجره أجر كامل غير منقطع دائم مستمر، ثم وصفه بكريم خلقه وكمال خلقه ﷺ من باب أن التخلية تكون قبل التحلية .

- فوائد وعبر في هذه الآيات

1. إعجاز القرءان لكونه مكونًا من حروف العرب، ويعجِزَ العرب عن أن يأتوا بمثله، لا يستطيعون أن يأتوا بعشر آيات من مثله ولا بسورة من مثله، أول فائدة إستفدناها من {ن} إعجاز القرءان.
2. لله تبارك وتعالى أن يقسم بما يشاء، أما العباد فلا يجوز لهم القسم إلا بالله لما هو معلوم من قول النبي ﷺ فيما روى البخاري "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت"، أما الله تبارك وتعالى فهو سبحان هوتعالى فعال لما يريد.
3. لاشك أن القسم بالقلم وبالكتابه يدلنا على أن أمر الكتابة من أعظم نعم الله تبارك وتعالى، لما بها من حفظ الدين وضبط العلم، فها هنا الرابط بين سورة العلق التي تقدمت على سورة القلم، وهذه السورة، سورة العلق <u>قالت إقرأ، أما سورة القلم فقالت أكتب، إقرأ وأكتب</u>، وهما الطريقة للتعلم كما هو معلوم القراءة والكتابه، فإذن جاءت إقرأ بأصول العلم كما بينا من قبل {ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ، ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ}[القلم 1 :3]، قلنا قراءة التفكر وقراءة التدبر والتأمل، وهما معًا يؤديان إلى العلم النافع، هنا كما جاء في الأثر (قيدوا العلم بالكتابة)، فجاء هنا بالأمر الآخر لحفظ العلم والدين عن طريق الكتابه، ولذلك يقال <u>القلم أحد اللسانين لأنه يضبط وسائل التفاهم بين الناس.</u>
4. تنزيه النبي ﷺ عن فِرىٰ وإفترائات أولائك المشركين، فنزهُهُ سبحانه وتعالى عن أن يتصف ﷺ بالجنون ونحوه، فتنزيه الله لنبيه ﷺ.
5. الرد على أولئك المشركين، وذلك <u>بإثبات الخُلق الكريم</u> له ﷺ ، فكيف يكون هو الصادق الأمين عندكم، وكيف يكون على هذه الدرجة البالغة من الخلق العظيم، ثم هو

يُتهم بعد ذلك بالجنون، وفي هذا تسلية من الله تبارك وتعالى لنبيه، وفي ذلك تثبيت الله لنبيه ﷺ.

6. بيان منة ربنا تبارك وتعالى على نبيه، إذ أنعم عليه بالنبوة والرسالة التي عصمه الله بها مما نعته به الكفار، فلذلك قال {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ}، وهذا فيه بيان لمنة الله على نبيه ﷺ، لاحظوا في قوله {بِنِعْمَةِ رَبِّكَ}، ولم يقل الله تبارك وتعالى ما أنت بنعمة الله، فهنا هذا فيه إثبات للرُّبوبية الخاصة، إثبات للرُّبوبية الخاصة، في هذا بيان لرحمة الله بعبده ومصطفاه ﷺ، {بِنِعْمَةِ رَبِّكَ} فإذا كان هو ربك، أي هو الذي خلقك، وهو الذي يدبر أمرك، وهو الذي أحيالك، وهو الذي إليه مصيرك، وهو الذي تكفل بك، فلا ينبغي لك أن تستمع وتصغي وتحزن لأقوال أولائك، فأنت في نعمة ربك.

7. البشارة للنبي ﷺ بالأجر العظيم، وهذه التي لايستطيعها أحد، فمن فضل الله عز وجل على نبيه أن أجره أجر غير منقطع بوجود أمته وبأن أمته أكثر الأمم كما أخبر ﷺ فأجره ﷺ لا ينقطع، وفي هذا بيان لفضل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ولفضل العلم الذي أشير إليه في مفتتح هذه السورة {ن وَالْقَلَمِ} فضل العلم، ولذلك جاء في قول العلم {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ} بسبب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، بسبب تعليمه العلم النافع للناس، فهكذا ورثة الأنبياء ممن يعلمون الناس الخير، فمعلم الناس الخير يدعى أمة، كما كان بن عباس رضي الله عنهما يسمي معاذ بن جبل، ويقول إن معاذ بن جبل كان أمة، ويقول إن معلم الناس الخير أمة، فإذا في هذا بيان لفضل العلم وتعليم العلم والدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

8. ثناء الله تبارك وتعالى على نبيه بالخلق العظيم، وتمكن النبي ﷺ من الأخلاق الكريمة، وهنا تلحظون ذلك في أن الله تبارك وتعالى أكد هذا المعنى بإستخدام (إن، واللام) ثم قوله (على) ولم يقل وإنك لذو وإنما قال {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} ، في هذا بيان لعلو قدره ﷺ، وعلو مكارم خلقه، فهو لم يقل صاحب خلق عظيم، بل هو (على خلق عظيم)، دلالة على سمو ذلك، ولذلك أتى ب(على) للدلالة على هذا المعنى.

9. أن الأخلاق الحسنة لايمكن أن تجتمع مع الجنون، فكلما كان الإنسان أحسن أخلاقا كان أبعد عن الشطط، كان أبعد عن الجنون، بعض الناس يظن الجنون فقط هو مجرد ذهول العقل، ولكن هناك من الجنون ما يُلَقب به أهل الطيش، ما يلقب به أهل الشطط، أهل الخرافات، فإذا أردنا أن نبتعد عن الضلالات وعن بُنيات الطريق، فإن أردنا ذلك فعلينا بالخلق الحسن لنبتعد عن الشطط، وعن الإنحرافات ،{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ}.

10. أن جماع الأخلاق الفاضلة في الإستقامة على دين الله، وعلى إلتزام شرعه، إذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تبارك وتعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}، قال أي على دين عظيم، وهذا رواه ابن جرير الطبري بإسناد صحيح {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} قال على دين عظيم، وهذا يؤكد لنا فضيلة حسن الخلق، البر حسن الخلق الرجل ليبلغ بحسن خلقه منزلة الصائم القائم.

- الحث على الخلق الحسن

قلنا أنه ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وقالوا لأنه امتثل تأديب الله تبارك وتعالى بقوله {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف-199]، وقد رُوي أنه ﷺقال :"أدبني ربي تأديبا حسنا، إذ قال {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}، فلما قبلت ذلك منه قال {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}" ،لكن هذا الأثر في إسناده نظر فهو ضعيف من جهة الإسناد. لكن لاريب أن النبي ﷺ كان خلقه القرءان، وكان ممتثل لأمر الله تبارك وتعالى.

لكن نبينا ﷺ حثنا كما بينت على حسن الخلق في غير ما حديث، من ذلك قوله ﷺ:"اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]، وأيضًا روى الترمذي وقال حسن صحيح أن النبي ﷺ قال: "ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق الحسن، وإن الله تبارك وتعالى ليبغض الفاحش البذيء"، وقال ﷺ عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله، وحسن الخلق"، [أخرجه الترمذي بإسناد حسن] وقال ﷺ :"إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا"، وقال :"وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون، فقالوا يا رسول الله ﷺ !، قد علمنا الثرثارون (الذين يتكلمون كثيرا)، والمتشدقون (الذين يتشدقون بالكلمات، ويظهرون أنهم من أصحاب المصطلحات العلمية فيتشدقون بالكلمات)، فقالوا: فما المتفيقهون، قال: المتكبرون"، نعوذ بالله من الكبر ومن أهله، وهذا الحديث [رواه الترمذي وصححه الألباني]، إذن بَيَنَتِ الآيات مزية حسن الخلق.

ثم قال الله تبارك وتعالى: {فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ (6) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(7)}[القلم].

فَسَتُبْصِرُ، الفاء هي الفصيحة لإفصاحها عن محذوف والتقدير؛ إذا كان الأمر ما ذكر من تنزيهك عن الجنون ووعدك بالثواب والشهادة لك بالخلق العظيم وثبوت كذبهم عليك فستبصر فستعلم أيها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فستبصر قريبًا و يبصرون؛ أي هؤلاء الكفار المكذبون الذين إفتروا عليك الكذب بهذه المقالة السوء، سيعلم الجميع عاقبة الأمر بظهورك عليهم وإنتشار الإسلام، وذلك في الدنيا، أما في الآخرة فبتميز الحق من الباطل فحين إذن ستبصرون جميعًا، {بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ}، أي الفتنة؛ والمراد هنا الجنون بأيكم الفتنة بأيكم الجنون، فقولُه {بأيكم} الباء هنا للظرفية؛ أي في أيكم الجنون أهو في المهتدي الراشد ذو الخلق العظيم أم في المكذبين الأفاكين، وهذا على معنى التنزل في الخطاب، التنزل في الخطاب مع من تجادل، وإلا فهم أهل الخبال والسفه.

فقول الله تبارك وتعالى: {سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ} فقوله: {بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ}، هذا كما قلت علي معنى التنزل في الخطاب معهم، {فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ} هنا مضمن معنى العلم، أي من أبصر العواقب علم المحق من المبطل، من كانت عنده ملكة البصر والبصيرة فسيعلم من على الحق، ومن على الباطل .

ولما كان ماسبق متضمنا الوعد للنبي صلى الله عليه وسلم والوعيد للمكذبين أعقبه بهذا التعليل، أن هذا الحكم صادر عن كمال العلم بأحوال العباد {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}، فالله تبارك وتعالى أعلم بمن ضل عن دينه ،عن سبيله، وأعلم بمن هو على الهدى؛ وهم أهل الإيمان الذين استجابوا لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

لاشك هذه الآيات فيها من البشارة والتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ما هو واضح وفيها من الوعيد والتهديد للمكذبين، فهؤلاء المكذبون الطاعنون في النبي صلى الله عليه وسلم في حقيقة الأمر هم أولى بما وصفوا به النبي صلى الله عليه وسلم من الجنون حينما لايتبعون الحق، حينما يخادعون أنفسهم.

وفي هذه الآيات إشارة إلى إعجاز القرآن وصدق أخباره الغيبية ،لأننا قلنا أن هذه السورة هي السورة الثانية من حيث النزول، فمن البداية بشر الله نبيه بظهوره على أعداؤه في نهاية الأمر وبإنتشار دينه، وعلو سلطانه ،وإرتفاع ذكره في العالمين، وهذا ما تحقق بعد هذه الآيات بسنين وصار دين النبيﷺ في كل أرجاء المعمورة.

لاحظوا في قوله تبارك وتعالى: { فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ}، أنه سبحانه وتعالى أبهم الحكم والعاقبة {فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَيْيكُمُ الْمَفْتُونُ (6) }ولم يبين تبارك وتعالى ما سيكون في نهاية الأمر وعاقبة الأمر {فَسَتُبْصِرُ}، أي شيء؟، {وَيُبْصِرُونَ}،أي شيء؟ ،قال ستبصرون من سيكون المستحق للجنون في نهاية الأمر، وهذا بأمور سيرونها نصب أعينهم، قلنا هذا من لطائف الخاصة بهذه الآيات طريقة الجدل القرآني وكيف يتنزل مع الخصم مع المخالف حين الجدال، فيتنزل في الخطاب قوله تبارك وتعالى {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ }، ويتكرر هذا التخصيص، {رَبَّكَ}؛ للربوبيه، وهذا فيه بلا شك دلالة عظيمة على فضل النبيﷺ، وعلى مدى حب الله تبارك وتعالى لنبيه وعلى معنى من معاني الرعاية، والكلائة، والحفظ، والعناية، التي إختص الله عز وجل بها نبيه ﷺ.

والآيات تدل على كمال علم الله تبارك وتعالى، وفيه رد على بعض المبتدعة؛ وذلك في أن الله عز وجل قال:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}، فأسند الضلال إلى العبد، وذلك مع كمال علمه تبارك وتعالى بمن هو على الضلال، ومن هو على الهدى، وهذا يتناسب مع عقيدة القضاء والقدر، التي لوتمعنا لفهمنا أنها هي موضوع هذه السورة، بقوله :{بِنِعْمَةِ رَبِّكَ}.

وموضوع السورة هنا بقوله: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}، كل من يعرف مراتب القدر الأربعة، يعرف أن أول هذه المراتب العلم، ثم الكتابة، ثم الخلق، والمشيئة، فمراتب القضاء والقدر الأربعة هنا الآية تقول:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.

فالله تبارك و تعالى أحاط بكل شيء علمًا، فهو يعلم ما كان، وماهو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان، والله تبارك وتعالى يعلم الشقيَّ من التقي، سبحانه وتعالى، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الخلق، ثم هو سبحانه وتعالى يخلقُ أفعال العباد، ولا يعني ذلك أنه سبحانه وتعالي يظلم مثقال ذرة ، لأن الله تبارك وتعالى بين

لنا أنهُ هدى الإنسان {إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ }[الإنسان-3] ؛أرشده السبيل، { إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}[الإنسان-3].

وكل عبدٍ يعلم من نفسه أنه له إرادة وأنه ليس ريشةً في الهواء تتحرك، وإنما الله تبارك وتعالي جعل للإنسان إرادة هي التي تناط بالتكليف، وهو سبحانه وتعالى يخلق أفعال العباد، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحانه وتعالى، فالذين يقولون بأن العبد يخلق فعله هذا ينافي عقيدة أهل الإيمان أهل السنة من أن الله تبارك وتعالى يخلق أفعال العباد.

وفِعلُ الله كله خير والشر ليس إليه، لأن النظر في أفعال الله تبارك وتعالى ينبغي أن يكون على قوله: {فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء-19]، عسى أن تحبوا شيئا هو شرٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خيرٌ لكم،

فالله يعلم المفسد من المصلح سبحانه وتعالى، يعلم الصالح من الطالح، يعلم من هو على الضلالة، ومن هو على الهدى . ولا ينبغي لإنسان أن يقول طالما الأمر كذلك فلما العمل؟، كل ميسر لما خلق له، أنت لا تدري، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

إذن لا ينبغي التذرع، أو الاحتجاج بالقدر في غير موضعه إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ونحن على يقين بأن ربنا لا يظلم مثقال ذرة وأن الله تبارك وتعالى حرم الظلم على نفسه وجعله بيننا محرما، وكل من يعرف من هو الله فلا ينبغي أن يرتاب في هذا المعنى أبدًا، ولا أن يوسوس له الشيطان في شيءً من هذا البتة.

الناس قسمتهم الآيات إلي فريقين، فريقٌ مهتدي، وفريقٌ ضال، كما قال ربنا تبارك وتعالى:

{ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد-26]. والحكم بالهدى والضلال إلى الله تبارك وتعالى وليس إلى أحدٍ من الناس، وجائت الآيات لتبين الجزاء الأخُروي من لازم العلم، أنه يجازي سبحانه وتعالى المهتدي بالثواب، وأنه يجازي سبحانه وتعالى الضال بالعقاب {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}،.

ثم إنتقلت الآيات بعد ذلك فقال سبحانه: {فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16)} هذا آخرُ المقطع الأول من هذه السورة مما نزل بمكة، الآيات الأُول من الآية الآولى إلي السادسة عشر نزلت بمكة.

- صفات المكذبين

قال الله عز وجل :{فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ}، هذا على معنى التفريع، يعني أن الكلام السابق يلحق بهذا الكلام اللاحق فكأن المعنى؛ طالما النبي ﷺ بهذا الوصف على خلق عظيم، وزكاه الله تبارك وتعالى، وأثنى عليه، وذم هؤلاء المكذبين.

فالمعنى: كما أنعمنا عليك بالنبوة، والرسالة، و وعدناك بالأجر، وأثنينا عليك بالخلق العظيم، فلا ينبغي أن تطع أولائك الذين كذَّبوك، وردوا ما جئت به من الحق والهدى، لا تطعهم فيما يدعونك إليه من ترك الدعوة إلى الله، ومن إقرارهم على كفرهم، بل ينبغي أن نخالف أصحاب الجحيم، وأن نتمايز عنهم، وألا نركن إليهم بدعوى التوافقية، لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن نصنعَ مثل ذلك {فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ}، فدم على ترك طاعتهم، ودم على المجاهرة بالإنكار عليهم، ولقد كان للكفار أمنية عظيمة، أن يطيعهم النبي ﷺ فيها، وهي أن يسكت عنهم، فلا ينكر دينهم وشركهم، فيقابلونه بمثل ذلك، ولهذا قال: {وَدُّوا}؛ أي أحبوا وتمنوا، {لَوْ تُدْهِنُ}؛ أي تمنوا لو أن تلاينهم، وتصانعهم، وتتلون بلونهم بترك ما أنت عليه أو بعضه مما لا يرضونه يفعلون معك مثل ذلك فتلين لهم، ويلينون لك، هذا هو أصل المداهنة الملاينة فيما لا ينبغي { فَيُدْهِنُونَ}، فودوا إدهانهُ وإدهانهم، ولما نهاه تبارك وتعالى عن طاعة المكذبين عمومًا نهاه عن طاعة بعض أنواعهم ممن إزاد كفره بالصفات الذميمة.

- الصفة الأولى :الكذب

قال ربنا تبارك وتعالى: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ}؛أيكثير الحلف في الحق والباطل، وليس في قلبه تعظيم لله، وليس في قلبه تعظيم لأسماء الله وكثرة الحلف هي مظنة الكذب، وهي شأن الكذابين {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ}.

- الصفة الثانية: المهانة

{مَهِينٍ}؛والمهانة معناها خسة النفس، ودنو الهمة، وإن لم يكن محتقر في قومه، لكنه خسيس نفس، دني همة لذا وصفه الله تبارك وتعالى بهذه الصفة الموضحة لـحَلَّافٍ، فكل حلاف مهين خسيس .

الصفة الثانية، الخسة و أُبْتُلِيَ بصفة الحلاف للدلالة على إستخفاف هذا المذكور بالله تبارك وتعالى، و ما بعدها من الصفات متفرعْ عنها.

- الصفة الثالثة : الهمز

{ هماز }؛ كثير الهمز ، {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ } [الهمزة-1]؛ أي الهماز هو العياب للناس اللذين يعيبون الناس، و يسخرون من الناس، {مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}؛ أي دائم المشي بنميمة، و هي السعاية بالإفساد بين الناس، الصفة الأولى حلاف، الصفة التانية مهين، والصفة التالثة هماز.

- الصفة الرابعة : النميمة

الصفة الرابعة نمام؛قتات، "لا يدخل الجنة قتات" [رواه حذيفة بن اليمان- صحيح البخاري]؛ أي نمام،

- الصفة الخامسة: البخل

الصفة الخامسة مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ أي شديد البخل بالمال و الخير و يحول بين الناس و بين ما يريدونه من فعل الخيرات فهو يمنع نفسه و يمنع غيره مناع للخير يمنع نفسه و يمنع غيره . الصفة السادسة مُعْتَدٍ لحدود الله فيتجاوز المباح إلى الممنوع و معتد على

خلق الله فيتجاوز الحد معهم بالظلم فجمع ربنا تبارك و تعالى في هذا الوصف معتد بين تعديه لحدود الله وبين تعديه علي لخلق، أَثِيمٍ؛ أي كثير الإثم بفعل المحرمات، عُتُلٍّ؛ أي غليظ جاف فظ القلب، بَعْدَ ذَٰلِكَ هذا نوع من الترقي في الذنب، أي و زيادة على ذلك، يعني ماتقدم من أوصافه القبيحة، حلاف، مهين، هماز، مشاء بنميم، مناع للخير، معتد أثيم، عتل، ثماني أوصاف.

ثم قال سبحانه الله تعالى بعد ذلك: زَنِيمٍ؛ أي دَعِيٍّ في قومه؛ لا أبٌ له يُعرف، ولكنه ملتحق بالقوم وليس منهم فهو زنيم دَعِيٌّ في قومه لا والد له يُعْرَفْ.

{أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ}؛ أي لأجل أن أنعمنا عليه بالمال و البنين يكفر و يجحد و يتكبر كما قال الله تبارك وتعالى في شأن النمرود في شأن محاجاته لنبي الله إبراهيم :{أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ} [البقرة-258]، أي بسبب أن أتاه الله الملك يحاج إبراهيم في ربه و هنا {أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ}؛ أي لأجل أن أنعمنا عليه بالمال و البنين يتكبر هكذا، {أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا(إذا يتلي عليه القرءان) قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، قال هذه حكايات الغابرين، فلا يوثَق بها، ولا يعول عليها في شئ، فعلى هذا بزعمه هذه مجرد أساطير، ومجرد خرافات أتى بها النبي الأمين ﷺ من قِبَلِ نفسه هكذا زعم، وحاشاه ﷺ، و بلا شك من كانت هذه أفعاله، ومن كانت هذه أقواله فهو حَرِي أن يُعذَّب أعظم العذاب، ويهان أبلغ الإهانة، لذلك قال الله تبارك وتعالى {سَنَسِمُهُ}؛ أي سنجعل له في الأخرة علامة واسمة من النار على وجهه يُعَرف بها و يُفْتَضحُ بها إهانه له و تحقير لشأنه { يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ }[ٱلرحمـٰن-41].

{سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ}؛ أي على أنفه، ولماذا جاء التعبير هنا بالخرطوم؟، قالوا إذا كان أشرف مافي الإنسان وجهه، فإن أشرف مافي الوجه الأنف لأنه موضع الأنفه و العزة و الكبر. فهنا قال {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ}، وهذا دلالة على مدى إهانته و إذلاله، كما قال النبي ﷺ: "رغم أنفه رغم أنفه" [صحيح- رواه أبوه هريرة]؛ أي ألصق بالرُغام أي ألصق بالتراب هذا الذي وصف بهذه الأوصاف كلها.

لم يثبت خبر في ذكر صاحب هذه الأخلاق الدامية و لا ورد سبب نزول صحيح عن هذا الذي و صف بهذه الأوصاف، لكن تناقل المفسرون أسماء طائفة من الكفار والأقرب- والله تعالى أعلم-أن هذه الآيات نزلت في الوليد ابن المغيرة فإن فيها صفات مقاربه للصفات التي وردت في سورة المدثر والتي ثبت نزولها في الوليد:

{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26)} [المدثر].

قد أخرج عبد الرزاق في التفسير والحاكم في المستدك والبيهقي في دلائل النبوة بسندٍ صحيح أن ابن عباس رضي الله عنهما أخبر أن هذه الأيات نزلت في الوليد ابن

المغيرة، إذاً ليس عندنا من حديث صحيح نقول إن آيات سورة القلم في وصف هذا الرجل الذي وصُف في مفتتحها أنه الوليد، إلا أن يُشار إلى تلك الآيات التي في سورة المدثر و التي بينهما من التطابق ما بينهما فعلى ذلك الأقرب من أقوال المفسرين أنها نزلت في الوليد ابن المغيرة على هذا الإعتبار .

- **فوائد و أحكام**

هذه الأيات اشتملت على جملة من الفوائد و الأحكام التي تحتاج إلى تأملٍ و تدبر.

1. النبي ﷺ عبد الله تبارك و تعالى، ولذلك ربنا جل وعلا يأمره و ينهاه، وهنا نهاه ربنا تبارك وتعالى عن طاعة الكفار من ترك التوحيد وترك الدعوة، وأنَّ شُكْرَ الله عز و جل على الإيمان والهداية يكون بالثبات على التوحيد و الدعوة إذًا المعنى الأول والفائدة الأولى التربوية : أثبتْ أحد، أثبت ولا تتلون، أثبت ولا تداري، أثبت ولا تداهن، أثبت ولا تميع، أثبت على الحق وإن جادل المجادلون وإن خرج الناس بدعاوى كاذبة على إعتبار التوافق مع أصحاب البدع أو أصحاب الزيغ والأهواء أو أصحاب المذاهب الفكرية التي لا تمت إلى الشريعة بصلة، لا ينبغي أن يداهن على الحق أبداً إذا الثبات{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ }، الفائدة الأولى: أثبت أحد.
2. أن نعلم أن من حيل الكفار هذه الرغبة في ما يسمى بالتقارب، أو في ما يسمى في زماننا المعاصرة في وحدة الأديان، أو وحدة المذاهب التقارب ما بين السنة و الرافضة، و هذا إن كان عند النظر فهو ليس بتقارب، وإنما هو تنازل، ولا ينبغي لأحد أن يُفوضَ في مثل ذلك. {قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ} [يونس- 15]، ليس لأحد أن يدعي مثل ذلك أبدًا، ولا ينصب نفسه لمثل هذا أبدا .
   نعم هناك نوع من التقارب الذي هو يدخل في نطاق أن تبروهم و تقسطوا إليهم {أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ }[الممتحنة-8]، هذا نوع من العمل الخلقي، والسلوك الحسن، لكن لا شئ يدعى بالتقريب بين الأديان، ولا بحوارات الحضارات، ونحو ذلك من العبارات التي انخدع بها بعض الأغرار من المسلمين، حتى إن بعض الدعاة ليقع في هذا الخطأ العظيم الكبير.
   يا هذا إحذر من مداهنة أولائك، هذا من حيلهم، ومن رغبتهم التي بيناها لنا القرءان أن نتنازل عن المواجة بالإنكار، أن نتنازل عن مزية هذه الأمه بالأمر بالمعروف والنهي عن النكر.
   إذًا حذر الله نبيه، وحذر المؤمنين من تحقيق هذه الرغبة أو الإنخداع بها.
3. الأمر الثالث: إثبات علم الله تعالى بأحوال القلوب، والله أعلم بما في قلوب العالمين، الله تبارك وتعالى يقول: {وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} [القصص-69] وعلى ذلك فلا ينبغي لأحد أن يقول لماذا هذا في الضلال، وهذا في السعادة، ولماذا كذا، ولماذا كذا، {لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ} [الأنبياء-23].

الله تبارك و تعالى أعلمُ بما في صدور الناس و بما في قلوب الناس و بأحوال هذه القلوب والعبرة بها، فليست العبرة بالأعمال، وإنما العبرة بما في القلوب، إن الله لا ينظر إلى صوركم و لا إلى أجسادكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم .

4. الأمر الرابع: وجوب الصدع بالحق، ولو أغضب المبطلين، نعم، كل شئ يكون بحكمة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر منضبط بالحكمة و منضبط بالعلم و منضبط بالحلم و منضبط بالرفق، هذا معلوم لكن لينبغي أن تكون ثوابت الدين خطوط حمراء، {فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ} [الحجر-94]، فلا ينبغي المداهنة في مثل ذلك، نصدع بالحق و لو أغضب ذلك أهل الإبطال.

5. التحذير من الصفات التي قبحها في مفتتح هذه السورة، فصفة الحلف الكثير، فقد نُهينا عن كثرة الحلف، ومعلوم أن النبي ﷺ نهى عن مثل ذلك، أن يُكثرَ الإنسان بالحلف، سواء الذي يحلف ليروج السلعة من التجار وغيرهم، فهذا لا يصح بحال لأن كثرة الحلف مظنة الكذب .

الأمر التاني، من هذه الصفات صفة المهانة، وتحقير الهمم، قلنا أن كثرة الحَلِف مظنة للكذب والكذاب مهين حقير عند الله تبارك وتعالى ذليل، وهنا فيها فائدة، وهي لا ينبغي للمؤمن أن يرخص نفسه أبدًا، ولا أن يذل نفسه أبدا، ولا أن يتنازل حيث لا ينبغي له ذلك.

تعزز عبد الله، تعزز أيها المسلم، {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر-10].

- إذًا الصفة الأولى إياك والكذب، إياك وكثرة الحلف.
- الصفة الثانيه إياك وخسة النفس، إياك وتحقير ذاتك، بل ينبغي لك أن تتعزز، الصفة الثانية التي ينبغي أن يكون عليها المسلم العزة.
- الأمر الثالث، تحريم الهمز واللمز والنميمة {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ} [الهمزة-1]، الذي يذكر الناس في وجوههم ويلمزهم في مغيبهم، وهذا شأن الغَيَّاب هذا شأن الطعَّان للمرأ إذا غاب، والنبي ﷺ عرف الغيبه بأنها ذكرك أخاك بما يكره، ومعلوم أنها من كبائر الذنوب، وهنا همازٍ هذه تشير إلى أهل الغيبة، وقوله مشَّاء بنميم إشارة إلى النميمة، والنبي ﷺ في الحديث الذي [رواه البخاري ومسلم] قال: "لا يدخل الجنة قتات لايدخل الجنة نمام".

فإذن الحذر من آفات للسان فإنها مدعاة للتخبط على الطريق إياكم وعثرات اللسان، وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم إنهم يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة .

إذن هنا تحذير من الهمز، واللمز، والنميمة، من الغيبة، والنميمة {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}.

الصفة الأخرى التي ذمها الله تبارك وتعالى، هي صفة الجموع المنوع؛ صفة البخل بالمال والمعروف، والصد عن الإحسان {مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ}، ويقابلها في صفة المؤمن الكرم، والجود، والإحسان للناس، وقوله تبارك وتعالى:{مُعْتَدٍ}، إشارة للظلم، وهي في حق المؤمن على ضدها، فالمؤمن لا يتعد حدوده، لايتعد حدود الله، ولا يتعد حدوده مع الناس، فلا يظلمهم على معنى: {ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ } [المائدة-8]

{أثيم}، الأثيم؛ الذي هو مكثر من الآثام، والله تبارك وتعالى نهانا عن مثل ذلك لأن كثرةُ الإثم مظنة لحدوث الفجر، والفسوق، والمعاصي بريد الكفر والعياذ بالله تعالى.
أثيم؛ أي ذي إثمٍ، وعلى هذا فالمؤمن مطواع لله تبارك وتعالى.
{عتل}،أي الغلظة والتكبر،{ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران- 159]، والعتل؛ فيه معنى الجفاء والشدة، ومنه قول الله تبارك وتعالى : {خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ} [الدخان-47] {ٱعْتِلُوهُ}؛ هذا دلالة على الشدة في هذا.

وإنما المؤمن هينٌ لين كريمٌ، هكذا شأنهُ، بخلاف الفظ الغليظ في التعامل عتل .

{بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ}، الزنيم؛ كما بينا هذا الدعيٍّ، في هذا إشارة إلى تحريم الفواحش، في هذا إشارة إلى تحريم الفواحش، وبطبيعة الحال لقائلٍ أن يقول وما ذنبه أن يكون زنيما هل هو خلق نفسه هكذا؟، فنقول أن هذا المعنى فيه إشارة إلى قبح الفعل وليس إشارة إلى قبح الذي ترتب عن هذا الفعل، بل إن بعض أهل العلم لم يفسر الزنيم بمثل ذلك، لأن هناك بعض الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ تبين شأن معنى الزنيم بغير ذلك، فقد جاء في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن ابن غنم، وذكره الهيثمي في المجمع وقال رواه أحمد، وفيه شهر ابن حوشب، واتفقوا جامعة فيه ضعف، وعبد الرحمن ابن غنم ليس له صحبة على الصحيح، جاء إشارة إلى أن الزنيم هو؛ الشديد الخلق، الرحيب الجوف، المصحح، الأكول، الشروب، الواجد للطعام، الظلوم للناس، ففيه إشارة إلى معنى آخر، معنى الشِبع، ومعنى التطاول، ومعنى أنه ظالم غشوم، فذُكر غير هذا في معنى الزنيم، فإذًا كما قلنا ليس في ذلك إشارة إلى ما ترتب عن هذا، وإنما فيه إشارة إلى قبح هذا الفعل، والله تعالى أعلى وأعلم.
قولُه {أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ}، فيه بيان لخطورة البطر والأشر عند بعض الناس، فالمال والبنين زينة الحياة الدنيا ولكن {إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ } [التغابن-14]، وعلى هذا فسبب البطر عند الناس يكون بالمال والبنين، وهذا من القبح أن يُقابَل نعمة الله بالإساءة، ولذلك لا ينبغي أن نَفتتنَ بما عندنا من مال أو بما عندنا من بنين، وإنما ينبغي أن نشكر نعمة الله عز وجل في ذلك، ولا نقابل الإحسان بالإساءة {إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ}[المطففين-13]، وهذا فيه بيان لموقف أولائك الكفار، وأن من إجتمعت فيه مثل هذه الخصال؛ خصال الشر في مقابل، {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}، فهو الذي يصدر عنه أمثال هذا الكلام المرذول من أن يجعل القرآن المبين الذي تحدى الله عز وجل به الكفار، ثم هُم بعد ذلك يصدر عنهم مثل هذا، فيقولون إنه أساطير، والآية فيها إشارات أيضًا إلى معنى وقاعدة الجزاء من جنس العمل، فهم يُعَاملون بضد مقصودهم، فإذا كان هذا يترفع ويتكبر فإذا بالله تبارك وتعالى يذله ويهينه لما فيه من كبرٍ وكذب فيسمه على الخرطوم.
والآيات بينت معنيً آخر من عدل الله تبارك وتعالى، فإذا كان هذا الكافر بهذه الصفات وهو حقيق بهذا الجزاء، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، هذه الآيات أثبتت عذاب أولائك في الآخرة وهو من الضروريات، ومن المتفق عليه بين المسلمين، وبينت سبب هذا.
هذه الآيات البينات الكريمات التي تناولناها في هذه المحاضرة تحتاج منا إلى قرارات تطبيقيه، تحتاج منا إلى تفعيل لمعنى:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}، تحتاج إلى وصفة

علاج خُلقية، بأي شيء بأن نعمد إلى عكس الصفات التي وردت في أول سورة القلم فهذا هو الواجب العملي لهذه الآيات.

- **الواجب العملي**

أولاً: إياكم والكذب علينا بالصدق.
الأمر الثاني :إياكم والذل؛ ذِلة النفس، وعليكم بالعزة .
الأمر الثالث: إحفظوا ألسنتكم، وكما نقول كثيرا ونردد هذا الحديث على مسماعكم : "لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه" [رواه أنس-حديث حسن-المحدث:الألباني]. **فإياكم والغيبة وإياكم والنميمة .**
والأمر الرابع: عليكم بالجود، والكرم، وكثرة الإنفاق في سبيل الله، والإحسان إلى الناس، لاسيما أصحاب الإحتياجات من الفقراء، والمساكين، ومن الأرامل، واليتامى، فلا ينبغي أن تمنعوا خيركم بسبب سوء تصرفات الناس أوغير هذا {مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ}، فكن أنت مفتاح خير، طوبى لمن كان مفتاح للخير مغلاق للشر.
الأمر الخامس: العدل، إعدلوا ، {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟} [المائدة-8]،**فلا تتعدوا حدودكم وينبغي أن تتصفوا بصفة العدل.**
الأمر السادس:من هذه الصفات، أن يكون الإنسان مطواع لله تبارك وتعالى.
والصفة السابعة: أن يكون هذا الإنسان هين لين حسنَ الخلق، ليس بفظ، ولا غليظ، ولاصخَّاب بالأسواق، كما وُصِف نبينا ﷺ، ثم لا ينبغي للإنسان أن يكون جاحدًا، أن يكون كنود، يعرف وينكر يأخذ، ولا يعطي {أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ}، إنما عليه أن يشكر نعمة الله عز وجل عليه إذا أنعم الله بنعمة عليه فيكون شاكرا لأنعم الله.
فهذه صفات هي واجب عملي لتفعيل، {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}.
سنتناول إن شاء الله في اللقاء القادم المقطع الثاني من هذه السورة المباركة، وقصةِ أصحاب الجنة، وما كان منهم، وما الرابط بين هذه القصة التي نزلت آياتُها في المدينة، وبين مفتتح السورة الآيات الستة عشر التي تناولناها، هذا ما سنتبينه في الدرس القادم .
أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

تم بحمد الله

الشيخ هاني حلمـــــــــي